

90 تفسير سورة المؤمنون | 77-07 | تفسير ابن كثير

علي غازي التويجري

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. صلى الله وسلم وبارك وانعم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى
 اله واصحابه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين. اما بعد سبق معنا في الدرس السابق قوله جل وعلا افلم يتدبروا - [00:00:00](#)
 ان جاءهم ما لم يأت اباؤهم الاولين ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون؟ ام يقولون به جنة بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون
 وقلنا ان هذا ان الله انكر عليهم فقلوه افلم يتدبروا استفهام انكار فالله ينكر على كفار قريش - [00:00:20](#)
 انهم لم يتدبروا القول وهو القرآن الذي انزل عليهم فلم يتفهموه ولم يعقلوا معناه ويتأملوا فيه اه ثم قال منكرا عليهم ام جاءهم ما لم
 يأت اباؤهم الاولين قلنا ان ام هنا بمعنى بل - [00:00:41](#)
 وهي المنقطعة ام هنا المنقطعة وهي بمعنى بل مع الهمزة بل اجاء اجاءهم ما لم يأت اباؤهم الاولين وكان ذلك يعني مدعاة او عذرا او
 نوع عذر الا يعملوا بهذا القرآن - [00:01:06](#)
 ثم قال ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون او لم يعرفوا الرسول صلى الله عليه وسلم الذي جاءهم بهذا القرآن فقالوا هذا رجل
 غريب ولا ندري ولا ندري صدقه من كذبه لا بل يعرفونه حق المعرفة وانه صادق - [00:01:25](#)
 امين وثم قال ام يقولون به جنة بل ايقولون به جنة اي بالنبي صلى الله عليه وسلم يقولون به جنون وانه مجنون وهذا الكلام الذي
 جاء به هذا من اثار - [00:01:40](#)
 فلا يقبل منه لانه مجنون وكلامه كلام مجنون. والجواب لا ولهذا قال بل جاءهم بالحق واكثرهم الحق كارهون بل جاءهم صلى الله
 عليه وسلم بالحق بالقرآن بالكلام من بالقرآن الذي هو كلام الله من عند الله جل وعلا - [00:01:58](#)
 وفيه الحق ويبين الحق وهو حق بنفسه والحق احق ان يتبع ولهذا قال جل وعلا بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون اكثر هؤلاء
 للحق كارهون الحق ولا يريدونه قال - [00:02:18](#)
 ابن كثير رحمه الله ام يقولون به جنة يحكي قول المشركين عن النبي صلى الله عليه وسلم انهم كانه تقول القرآن اي افتراه من عنده
 او ان به جنونا لا يدري ما يقول. واخبر عنهم ان قلوبهم لا تؤمن - [00:02:41](#)
 وهم يعملون وهم يعلمون بطلان ما يقولونه في القرآن فانه قد اتاهم من كلام الله ما لا يطاق ولا يدافع. وقد تحداهم وجميع اهل
 الارض ان يأتوا بمثله فما استطاعوا - [00:03:01](#)
 ولا يستطيعون ابد الابد. ولهذا قال بل جاءهم بالحق واكثرهم الحق كارهون. يحتمل ان تكون هذه جملة حالية اي بلوى ومعنى
 الكلام اي في حال كراهة اكثرهم للحق ويحتمل ان تكون خبرية مستأنفة والله - [00:03:17](#)
 اعلم وكل ذلك يعني ممكن والحال انه جاءهم بالحق واكثرهم الحق كارهون او انه اخبر انه جاء بالحق وهم واكثرهم الحق كارهون
 ثم قال جل وعلا ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السماوات والارض ومن فيهن بل اتيناهم بذكرهم فهم عن ذكر - [00:03:37](#)
 معرضون يقول جل وعلا لو اتبع الحق اهواء هؤلاء كفار قريش بل وغيرهم من الناس لو اتبع الحق لو اتبع الحق اهواءهم لفسدت
 السماوات والارض لان اهواءهم باطلة فاسدة ما تصلح - [00:04:05](#)
 لاصلاح الدنيا والاخرة لا يصلح ذلك الا قول الله جل وعلا وما جاءت به رسله ولهذا يقول ابن كثير رحمه الله ولو اتبع الحق اهواءهم
 لفسدت السماوات والارض ومن فيهن - [00:04:29](#)
 قال مجاهد وابو صالح والسدي الحق هو الله. يعني لو اتبع الحق لو اتبع الله اهواءهم التي يريدون واقوالهم لفسد السماوات قال قال

مجاهد وابو صالح والسدي الحق هو الله عز وجل. والمراد لو اجابهم الله الى ما في انفسهم من الهوى - [00:04:54](#)

وشرع الامور على وفق ذلك لفست السماوات والارض ومن فيهن اي لفساد اهوائهم واختلافها كما اخبر عنهم في قوله لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم. ها هذه اهوائهم. هذا ما يريده - [00:05:17](#)

ثم قال اهم يقسمون رحمة ربك هذا استفهام على سبيل الانكار وقال تعالى قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي. اذا اذا لامسكنم خشية الانفاق. وكان الانسان وقتورا وقال ام لهم نصيب من الملك؟ فاذا لا يأتون الناس نقيرا - [00:05:38](#)

ففي هذه ففي هذا كله يبين عز وجل يبقى ففي هذا كله تبين عجز العباد واختلاف ارائهم واهوائهم. وانه تعالى هو الكامل في جميع صفاته واقواله وافعاله وشرعه وقدره وتديره لخلقه تعالى وتقدس. فلا اله غيره ولا رب سواه. ثم قال بل اتيناكم بذكرهم -

[00:06:03](#)

يعني القرآن فهم عن ذكرهم معرضون فهم عن ذكرهم وموعظتهم التي جاءهم الله جل وعلا معرضون عنها معرضون عنها غير قابلين لها. قال جل وعلا ولو اتبع الحق اهواءهم لفست السماوات والارض - [00:06:37](#)

ومن فيهن ايضا فسد فسد فسد السماوات والارض لان الذنوب تفسد الارض ويسعون في الارض فسادا الا انهم هم مفسدون وكذلك يفسدون من في السماوات والارض لانهم يتبعون الاهواء والضلال - [00:07:09](#)

في السماوات والارض ومن فيهن لا يصلحهن الا كلام رب العالمين سبحانه وتعالى ثم قال بل اتيناكم بذكرهم اضرب عن الكلام السابق فاخبر انه اتاهم بذكره بذكرهم وهو القرآن وسماه ذكرا لهم - [00:07:41](#)

ذكرهم يعني ليتعظوا به فهو ذكر لهم انزله الله لهم ليتذكروا ويتعظوا به فاسنده اليهم بهذا الاعتبار فهم عن ذكرهم معرضون فهؤلاء القوم عن ذكرهم وما يكون فيه تذكير لهم وعظة - [00:08:05](#)

معرضون منصرفون مبتعدون متولون لا يأخذون بما فيه ثم قال جل وعلا ام تسألهم خرجا فخرا ربك خير وهو خير الرازقين وام هنا ايضا هذا استفهام انكاري وآآ ام هنا هي المنقطعة وتقدير الكلام - [00:08:24](#)

اي ما تسألهم خرجا فيعتذرون بالاعراض عنك لاجل لاجله شحا باموالهم فانت ما تسألهم خرجا والخرج والخراج هو العطاء والاجر يعني انت لا تسألهم مالا على دعوتك لهم قال ابن كثير رحمه الله - [00:08:53](#)

ام تسألهم خرذا؟ قال الحسن اجرا. وقال قتادة جعلنا فخرا ربك خير اي انت لا تسألهم اجرا ولا جعلنا ولا شيئا على دعوتك اياهم الى الهدى. بل انت في ذلك - [00:09:36](#)

عند الله جزيل ثوابه كما قال تعالى قل ما سألتكم من اجر فهو لكم. ان اجري الا على الله. وقال تعالى قل ما اسألكم عليه من اجر. وما انا من المتكلفين. وقال جل وعلا قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى - [00:09:52](#)

وقال وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى قال يا قومي اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون. اذا هذه حال الانبياء فكان يعني انت ما تسألهم خرجا ولا مالا ولا اجرا ولا عطاء على دعوتك اياهم - [00:10:14](#)

بل انت ترجو ما عند الله ولهذا قال فخرا ربك خير خراجه واجره وثوابه وعطاؤه لك خير من عطائهم وهو خير الرازقين جل وعلا فهو خير الرازقين واعظم الرازقين واغنى الرازقين واكرم الرازقين سبحانه - [00:10:35](#)

وتعالى ثم قال جل وعلا وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم قال ابن كثير قال الامام احمد وساق عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه فيما يرى النائم ملكان فقعد احدهما عند رجليه والاخر عند رأسه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه اضرب مثل هذا - [00:11:00](#)

ومثل امتي فقال ان مثل هذا ومثل امتي كقوم كمثل قوم سفر يعني مسافرين انتهوا الى رأس مفازة فلم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة من فاز الصحراء الواسعة - [00:11:35](#)

ولا ما يرجعون به فبينما هم كذلك اذ اتاهم رجل في في حلة حبرة والحبرة يعني البرد المخطط فقال ارايتم ان وردت بكم رياضا معشبة وحياطا رواء تتبعوني؟ فقالوا نعم. قال فانطلق بهم فاوردتهم رياضا معشبة - [00:11:53](#)

وحياظ الرواء فاكلوا وشربوا وسمنوا فقال لهم الم الفكم على تلك الحال فجعلتم لي ان وردت بكم رياضا معشبة وحيابا رواانا تتبعوني؟ قالوا بلى. قال فان بين ايديكم رياضا اعشب من هذه وحيابا هي اروي من هذه فاتبعوني قال فقالت طائفة صدق والله لنتبعن - [00:12:20](#)

تبعن وقالت طائفة قد رضينا بهذا نقيم عليه هكذا اورد هذا الاثر عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم لكنه ضعيف كما قال الارناؤوط كون قال محقق مسند الامام احمد قالوا ضعيف لضعف علي ابن زيد ابن جدعان - [00:12:52](#) وليني يوسف ابن مهران اذا في ضعف لكن نحن اوردناه كما اورده ابن كثير ولنبهه على عدم صحة اسناده ثم اورد ايضا ما رواه الحافظ ابو يعلى ا عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه - [00:13:23](#)

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ممسك بحجزكم اني ممسك بحجزكم هلم عن النار هلم عن النار وتغلبوني وتقاحمون فيها معنى تقحمون يعني تقعون فيها وتقاحمون فيها تقاحم الفراش والجنادب فاوشك ان ارسل حجزكم وانا فرطكم على الحوض وانا فرطكم يعني - [00:13:54](#)

تجدني امامكم وانا فرطكم على الحوض فتزدون علي مع فتلدون علي معا واشتاتا يعني تريدون مع بعضكم وتزدون متفرقين بعضكم مع بعض وبعضكم متفرقين تعرفكم باسماكم واسمائكم كما يعرف الرجل الغريب من الابل - [00:14:43](#) في ابله فيذهب فيذهب بكم ذات الشمال فيذهب بكم ذات اليمين وذات الشمال فاناخذ فيكم رب العالمين اي رب قومي اي ربي لامتي فيقال يا محمد انك لا تدري ما احدثوا بعدك. انهم كانوا يمشون بعدك القهقرة. وعلى اعقابهم - [00:15:08](#) ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم فلا اعرفن احدكم يأتي يوم القيامة يحمل شاة لها فغاء ينادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك من الله شيئا بلغت - [00:15:30](#)

ثم قال ولا اعرفن احدكم يأتي يوم القيامة يحمل بعيرا له رغاء ينادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك شيئا قد بلغت. ولاعرفن احدكم يأتي يوم القيامة يحمل فرسا له حمحمة - [00:15:45](#)

صوتها فينادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك شيئا قد بلغت ولاعرفن احدكم يأتي يوم القيامة يحمل سقاء من ادم ينادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك شيئا قد بلغت - [00:16:00](#)

قال ابن كثير وقال علي ابن المديني هذا حديث حسن الاسناد الا ان حفص بن حميد مجهول لا اعلم روى عنه غير يعقوب عن غير يعقوب بن عبد الله الاشعري القمي - [00:16:20](#)

قال ابن كثير قلت بل قد روى عنه ايضا رواه عنه ايضا اشعث ابن اسحاق وقال فيه صالح ووثقه النسائي وابن حبان وهذا الحديث له شاهد في الصحيح في البخاري ومسلم - [00:16:39](#)

وغيرهما وله ايضا يعني لبعضه شواهد ببعضها شواهد كما بل هي شواهد في الصحيحين في البخاري ومسلم ناهيك عن غيرها من مراجع السنة كمسند الامام احمد وغيره ولهذا اوردته مسلم من حديث ابي هريرة واورد جزءا منه - [00:17:04](#)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد نارا فجعلت الدواب والفراش ايقاعنا فيه. فانا اخذ بحجزكم وانتم تقتحمون فيه ونحو ايضا عند البخاري فالحاصل - [00:17:47](#)

ان الله سبحانه وتعالى بين في هذه الآية الكريمة ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا امته وان امته لا يستجيبون له ليس كلهم يستجيب وانهم ينصرفون ذات اليمين وذات الشمال - [00:18:08](#)

آآ عند الحوض لكن هذا وفق اعمالهم التي عملوها في الدنيا فلما اخذوا في الدنيا ذات اليمين وذات الشمال عن الحق وعن هدي النبي صلى الله عليه وسلم كان كذلك جزاؤهم ومصيرهم يوم القيامة - [00:18:31](#)

وهذا يدل على تحريم البدع فيجب الحذر منها لانها اخذ ذات اليمين وذات الشمال عن شرع محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبها محجوب من الجنة يقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك - [00:18:54](#)

اقتطعوا من دون النبي صلى الله عليه وسلم فيقول يا ربي امتي امتي امتي فيقول انك لا تدري ما احدثوا بعدك. ما زالوا يرتد القه

القهقرة ما زالوا يرتدون على اعقابهم القهقرة يعني يتركون - 00:19:24

دينك وستنتك ثم قال سبحانه وتعالى مذكيا لنبيه ومثنيا عليه وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم انت تدعوهم الى طريق الحق الى طريق النجاة الى سواء السبيل وقصده الى الطريق الذي يوصل الى الجنة - 00:19:42

وينجي من النار ثم قال جل وعلا وان وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون. يعني انت تدعوهم الى صراط مستقيم الى الصراط الذي لا اعوجاج فيه لكن الذين لا يؤمنون بالآخرة - 00:20:08

ولا يؤمنون بالبعث والنشور والمجازات والوقوف بين يدي الله جل وعلا لا عن الصراط المستقيم الذي تدعوهم اليه وهو طريق الجنة والمحجة الموصلة الى الله لناكبون اي عادلون عادلون يعدلون عن هذا - 00:20:32

ويتنكبون الطرق الهداية ولا يتبعونها قال ابن كثير وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن السرى عن الصراط الى ناكب اي لعادلون حائرون منحرفون تقول العرب نكب فلان عن الطريق اذا - 00:20:53

عنها ثم قال جل وعلا ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون قال ابن كثير يخبر تعالى عن غلظهم في كفرهم بانه بانه لو ازاح - 00:21:24

على لهم وافهمهم القرآن لمن قادوا له. ولا استمروا على كفرهم وعنادهم وطغيانهم كما قال تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لا اسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون وقال ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين -

00:22:00

بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون. وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين. فهذا من باب بعلمه تعالى بما لا يكون لو كان كيف كان - 00:22:30

لو كان كيف كان يكون قال ابن قال الضحاك عن ابن عباس كل ما فيه لو فهو مما لا يكون ابا. هذي قاعدة جيدة عطاها ابن عباس كل ما كان فيه لو يشير الى قوله ولو رحمناهم - 00:22:50

فهو مما لا يكون ابا قال جل وعلا ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر قال المفسرون الظر هو القحط والجذب وضر الجوع والهزال الذي اصابهم ولهذا دعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم - 00:23:19

وقال اللهم اجعلها عليهم كسني يوسف فنزلت بهم شدة فيقول الله جل وعلا لو رحمناهم فكشفنا ما بهم من الضر والجذب والقحط فاغنيانهم للجوا في طغيانهم نعمهون للجوا قال الشوكاني اصل اللجاج التماذي - 00:23:50

في العناد ومنه اللجة بالفتح لتردد الصوت ثم قال ولجة البحر تردد امواجه ولجة الليل تردد ظلامه ولهذا قال ابن عباس لو تكونوا ايش مر معنا قريبا انها تكون فيما لا - 00:24:23

يفعل لو في القرآن كما قال ابن عباس كل ما فيه لو فهو مما لا يكون ابا للجوا في طغيانهم طغيانهم يعني تجاوزهم للحدود وكفرهم بل بلغوا فيه مبلغا كبيرا - 00:24:55

للجوا في طغيانهم يعمهون يعني يتحيرون ويترددون فلا يهتدون ولا يخرجون منه ولهذا بين الله جل وعلا ان القوم قد بلغوا في الكفر مبلغا وتجاوزوا الحدود فهم لا لا يراعون - 00:25:17

ولا يستجيبيون للحق ثم قال جل وعلا ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون قال الطبري ولقد اخذنا هؤلاء المشركين بعذابنا - 00:25:54

وانزلنا بهم بأسنا وسخطنا وضيقنا عليهم معاشهم واجدبنا بلادهم وقتلنا سراتهم يعني كبراءهم يوم بدر فما استكانوا فما خضعوا لربهم فينقادوا لامره ونهيه وينيب الى طاعته وما يتضرعون وما يتذللون - 00:26:22

ونحو قول ابن كثير قال يقول تعالى ولقد اخذناهم بالعذاب اي ابتليناهم بالمصائب والشدائد. فما استكانوا لربهم اي فما ردهم ذلك عما كانوا فيه من الكفر والمخالفة بل استمروا بل استمروا على غيهم وضلالهم - 00:26:52

فما استكانوا اي ما خشعوا وما يتضرعون اي ما دعوا كما قال تعالى فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزيين لهم

الشیطان ما كانوا يعملون ثم اورد اثر بن ابي حاتم - [00:27:12](#)

عن ابن عباس قال جاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انشدك الله والرحم فقد اكلنا العلهز والعهز بالكسر طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعید ووبر البعیر فیس - [00:27:33](#)

سني المجاعة يعني يضعون دما على وبر البعیر ویأكلونه وهذا لا یصیرون الا اليه الا في شدة الجوع الذي یحل بهم وینزل بهم الله جل وعلا اخذهم بهذا لیرجعوا ویتبوا. قال ابن کثیر وهكذا رواه النسائي - [00:27:54](#)

وعصر هذا الحديث في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على قریش حين استعصوا فقال اللهم اعني عليهم بسبع کسبع یوسف یعنی بسبع سنوات مثل السبعة التي دعا بها یوسف على - [00:28:32](#)

قوم فرعون فاخذتهم الشدة وفعلوا حصلت لقریش حتی اكلوا الجلود ولكن مع ذلك ما رجعوا الى الحق وما اتعظوا والواجب على الانسان اذا مسه العذاب او مسته الضراء ان یرجع الى الله جل وعلا - [00:28:55](#)

كما اخبر جل وعلا في كتابه الکریم قال فلولا ان جاءهم بأسنا تضرعوا لانهم لو تضرعوا لاوشك ان یرفع الله عنهم العذاب فلولا ان جاءهم بأسنا تضرعوا او قبل ذلك قال ولقد ارسلنا الى امم من قبلك - [00:29:33](#)

فاخذناهم بالبأساء والظراء لماذا؟ لعلهم یتضرعون یتضرعون ویخضعون لله جل وعلا ویدعونه وینبوا اليه فلولا ان جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزین لهم الشیطان ما كانوا يعملون فلما نسوا ما ذکروا به فتحنا علیهم ابواب کل شیء حتی اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون - [00:30:01](#)

ولهذا قوله ما استکانوا الاستکانة هي الخضوع مشتقة من السكون والتضرع هو الدعاء بتذل فما ما استکانوا یعنی ما خضعوا لامر الله وما سکنا اليه وما ذلوا له وما یتضرعون ایضا - [00:30:30](#)

لا یدعون الله ولا یتذللون له فهم معرضون متکبرون عن الحق ناکبون عنه ولذلك حل بهم ما حل قال حتی اذا فتحنا علیهم بابا من السماء باب ان ذا عذاب سلیم اذا هم فيه مبلسون - [00:31:02](#)

الى الباب قبل هو القتال يوم بدر یعنی معركة بدر التي فتحها الله علیهم قتل کبراءهم ورؤساهم سبعین منهم واسر سبعین وهزموا شر هزيمة وهذا قول ابن عباس وقال مجاهد ما من ذا عذاب شدید یعنی قال هو باب المجاعة والظر - [00:31:26](#)

وهو الباب ذو العذاب الشدید. وقال الطبري وهو اولى بتأویل الآية قال ابن کثیر رحمه الله حتی اذا فتحنا علیهم بابا ذا عذاب شدید اذا هم فيه مبلسون. اي حتی اذا جاءهم امر الله. وجاءتهم الساعة بغتة واخذهم من عقاب الله ما لم یكونوا - [00:31:56](#)

یحتسبون فعند ذلك اب ابلش من کل خیر وایسوا من کل راحة وانقطعت امالهم ورجائهم لان المبلس هو كما قال الطبري الحزین قال ابلس یعنی هو الیائس من الخیر الحزین - [00:32:24](#)

قال الطبري مبلسون حزنا نادمون على ما سلف منهم وقال الشوکاني مبلسون اي متحیرون لا یدرون ما یصنعون والابلاس التحیر والایاس من کل خیر ونکتفی بهذا القدر والله اعلم وصلى الله وسلم وبارک وانعم على عبده ورسوله نبینا محمد - [00:32:46](#)